

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

تربية الأولاد إصدار 1994 - الدرس : 30 - التربية الإجتماعية -17- أدب الإستئذان

13-11-1994

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام مع الدرس الثلاثين من دروس تربية الأولاد في الإسلام، نحن في هذا الدرس مع مسؤولية الآباء عن تربية أولادهم التربية الجنسية.

على الآباء أن يعلموا أبناءهم الاستئذان:

من أدب الإسلام أن الله سبحانه وتعالى أمر في كتابه الكريم أن نعلم أولادنا أدب الاستئذان، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (58) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (59) ﴾

(سورة النور)

أي أن الطفل جعله الله عزَّ وجلَّ كالصفحة البيضاء فإذا ربي تربية أخلاقية ولم ير ما ينبغي أن يعلمه بعد حين طويل ينشأ طاهر النفس سليم الصدر، فلو أن الآباء والأمهات تساهلوا في أمر غرفة النوم، لو أن الطفل دخل خطأ فرأى والديه في وضع لا يفهمه أبداً ربما تحدث إلى أصدقائه ربما أثيرت مشكلات وتعليقات وكان مخدع الزوجية ليس مقدساً، لذلك على الآباء أن يكونوا دقيقين جداً في موضوع تعليم أبنائهم الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة ؛ من قبل صلاة الفجر، وحين تضعون ثيابكم من الظهر، ومن بعد صلاة العشاء، أي أن الأطفال لا ينبغي أن يدخلوا على آباءهم وأمهاتهم إلى غرف نومهم في هذه الأوقات إلا من بعد استئذان حقيقي لا شكلي، الاستئذان الشكلي ينقر الباب ويدخل، والاستئذان

الحقيقي ينقر و ينتظر الجواب أدخل؟؟ والأحوط أن يكون مقفلاً في هذه الأوقات الثلاثة، بحيث لو حدث خطأ الباب مقفل، هذا من أدب الإسلام.

الطفل بعيد جداً عن ما بين الرجل وامراته وهذه الغريزة التي أودعها الله فيه لا تستيقظ إلا بعد سن البلوغ فلماذا هذه التساؤلات وتلك الإحراجات وهذه التعليقات!!؟

من آداب الإسلام التي يجب علينا أن نعلمها لأولادنا:

1- أن نعلم أولادنا أدب الاستئذان:

أول أدب من آداب الإسلام أنه أمرنا أن نعلم أولادنا أدب الاستئذان، فواجب على كل أب مسلم وأم مسلمة أن تعلم بناتها والأب أن يعلم أبناءه، أنه لا ينبغي أن يدخل على والديه في هذه الأوقات الثلاثة إلا بعد استئذان حقيقي، إلى أن يسمع الجواب عن سؤاله: أدخل؟ الجواب: ادخل أو انتظر والأحوط أن يكون الباب مرتجلاً.

2- أن نعلم أولادنا آداب النظر:

الأدب الثاني هو آداب النظر، كلكم يعلم أيها الأخوة أن المحارم على أصناف ثلاثة، في رأس القائمة الزوجة، هذه الزوجة ليس هناك قيد أو شرط، لكن الأم والبنات والأخت والعممة والخالة وبنات الأخ وبنات الأخت هذه المحارم محارم النسب قال الله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ (23)﴾

(سورة النساء: آية " 23 ")

المحارم على ثلاثة مستويات ؛ الزوجة ومحارم النسب ومحارم المصاهرة:

هناك محارم بسبب المصاهرة مثل زوجة الأب قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (22)﴾

(سورة النساء)

زوجة الابن قال الله تعالى:

﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا

رَحِيمًا (23)﴾

(سورة النساء)

أم الزوجة قال الله تعالى:

﴿ وَأَمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ (23) ﴾

(سورة النساء " آية 23 ")

بنت الزوجة قال تعالى:

﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ

عَلَيْكُمْ (23) ﴾

(سورة النساء)

هذه المحارم أيها الأخوة على ثلاثة مستويات ؛ المستوى الأول هو الزوجة لا يوجد حرج إلا الحيض والدبر، هذا محرم تحريماً قطعياً ما سوى ذلك الأمور مباحة.

أما محارم النسب هنا الخطأ يتوهم المتوهمون أو الجهلاء أنه من الممكن أن تنظر إلى المحارم من دون قيد أو شرط، فهناك ألف قيد وشرط، فلا ينبغي أن تنظر إلى محارم النسب أو أمك أو ابنتك أو أختك أو بنت أختك أو بنت أختك أو عمك أو خالتك، لا ينبغي أن تنظر إلى هذه المحارم إلا بثياب الخدمة كما قال الفقهاء، وثياب الخدمة هو ثوب يكشف العنق والساعد والساق، أي نصف كم مسموح وتحت الركبة أعلى الصدر هذه ثياب الخدمة، أما هذا التبديل الذي يوجد في بيوت المسلمين من أن الأخت تظهر أمام أخيها بثياب النوم غير الساترة بثياب فاضحة أو بثياب متبدلة هذا لا يجوز أبداً.

للآية التالية ثلاثة معانٍ دقيقة جداً هي:

علماء التفسير حينما فسروا قوله تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) ﴾

(سورة النور)

هذه الـ "من": من للتبويض، ولهذه الآية ثلاثة معانٍ دقيقة جداً.

1- غَضُّ البصر عن بعض النساء الأخريات الأجنبية:

المعنى الأول: لك أن تنظر إلى بعض النساء وهنَّ المحارم، إذا غَضُّ البصر عن بعض النساء الأخريات الأجنبية.

2- ينبغي أن تنظر إلى المحارم بعض النظر لا أن تدقق في التفاصيل:

المعنى الثاني: إنك إن نظرت إلى المحارم ينبغي أن تنظر بعض النظر، لا أن تدقق في التفاصيل، لا أن تتبع الخطوط، لا أن تنظر نظرةً مريبةً، فالإنسان ينظر إلى أمه، وأخته، وابنته، ولكن نظرة إجمالية دون تدقيق في التفاصيل هذا قوله تعالى

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

لك أن تنظر إلى هذه المحارم ولكن دون النظر الذي يمكن أن يكون للزوجة مثلاً، لك أن تنظر إلى زوجتك بأية طريقة وبأية تفاصيل، أما أن تنظر إلى محارمك من النسب بتفاصيل ودقائق هذا أيضاً منهي عنه بنص الآية الكريمة.

3- أن ينظر النظرة الأولى إلى امرأة أجنبية فجأة ودون قصد:

المعنى الثالث للآية

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

لو أن الإنسان رأى فجأة امرأة أجنبية في منعطف نظر إليها النظرة الأولى.

إذاً المعنى الثالث هو التبعية الزمني، والتبعية الكيفي، والتبعية النوعي، هناك نوع من النساء لك أن تنظر إليهم، وهناك نوع لا ينبغي أن تنظر إليهم، فهناك تبعية نوعي، وتبعية كيفي، وتبعية زمني، هذا معنى الآية

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾

لحكمة بالغة أرادها الله عز وجل أنه جعل حفظ الفرج مؤخراً عن غضّ البصر من أجل أن نفهم أن طريق حفظ الفرج هو غضّ البصر، لكن المحرمات بسبب المصاهرة هنا يوجد حرج آخر أي أن زوجة الأب الشابة لا ينبغي أن يخلو بها ابن هذا الزوج الشاب، وزوجة الابن الشابة لا ينبغي أن يخلو بها والد الزوج، محارم المصاهرة يختلف عن محارم النسب، محارم المصاهرة يضاف إلى أحكام محارم النسب أنه لا يجوز الخلوة بهنّ، لكن إذا كان هناك نفس مريضة وخطر من أن يحدث فساد لا يجوز أن يخلو الشاب بأخته النسبية إذا كانت عنده حالة مرضية ونفس منحرفة مريضة، ينبغي ألا يُسمح لهذا الشاب المنحرف المريض أن يخلو بمحارم النسب، لكن الأصل أنه لا ينبغي أن يخلو الإنسان بمحارم المصاهرة.

((قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بِنْتِ حَمْزَةَ يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ))

[البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما]

أي أن الأم من الرضاعة والأخت من الرضاعة وبقية المحارم من الرضاعة لهنّ حكم محارم النسب في حرمة الزواج وفي إبداء الزينة.

آداب النظر إلى المخطوبة:

من مسؤولية الآباء في تربية أولادهم التربيّة الجنسية أدب النظر إلى المخطوبة.

1- الإسلام أمر أن ينظر الخاطب إلى مخطوبته:

أولاً الإسلام أمر أن ينظر الخاطب إلى مخطوبته.

((عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ يُؤَدَمَ بَيْنَكُمَا))

[الترمذي عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ]

أحياناً تجد شاباً يقول لك: أنا أريدها صاحبة دين فقط ولا أريد أن أنظر إليها، هذا كلام غير واقعي. هناك حالات كثيرة، أنا مطلع عليها، رفض أن ينظر إليها، ولم يقم أي وزنٍ للناحية الجمالية فلما عُقِدَ العقدُ وتمَّ الدخولُ ندب حظه وبدأ يُهينها ويصفها بصفاتٍ لا تليق بها وبدأ يعكّر صفوه وصفوها، الأولى أن تنتظر إليها بدل أن تجرح كرامتها، فهي في أهلها معززةٌ مكرمةٌ أنت خطبتها واشترطت الدين فقط ولم تتبع السنة ف وقعت في ندمٍ شديد، وهذا الندم انعكس كلاماً قاسياً وتجريحاً وندباً للحظ، الأولى أن لا تفعل هذا، الأولى أن تنتظرَ إليها وأن تخطب التي تحصنك وتكون أغضَّ لبصرك من أن تشتترط شرطاً واحداً وهو الدين ثم تهدر كرامتها وتجرح كبرياءها، المرأة لها كرامةٌ غالية جداً وليست سلعةً تباع وتشترى وليست بضاعةً.

((عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ يُؤَدَمَ بَيْنَكُمَا))

[الترمذي عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ]

2- لا يجوز للخطاب أن ينظر إلى مخطوبته إلا بعد أن يعزم على الزواج منها:

في الأعم الأغلب وفي رأي الجمهور لا يجوز للخطاب أن ينظر إلى مخطوبته إلا إلى وجهها وكفيها بعد أن يعزم على الزواج منها.

ما الذي يحدث الآن؟ أول شيء يريد أن ينظر إليها، فعلى الزواج لم تتفقوا، وكذلك على البيت، وهناك مئة من البنود المختلف عليها، ومئة قضية معقدة، أما حينما تُذلل كل العقبات، كأن يتحدد البيت وكذلك المهر وتمت الموافقة، والسؤال تم، والدراسة تمت، والاستقصاء تم، وكل شيء قد تم، بقيت عقبة واحدة وهي أن ينظر إليها، أما أن نجعل النظر إليها بادئ ذي بدء فهل هي سلعة؟!؟

أول شيء يريد أن ينظر إلى هذه المخطوبة، فأنت مثلاً على سفر، والأهل لا يزوجون على سفر، فموضوع السفر موضوع معلق فقم بحله أولاً ثم انظر إليها، الأهل لا يزوجون هذه البنت إلا في بيتٍ مستقل مثلاً، فحل هذا الموضوع أولاً ثم اطلب النظر إليها، موضوع البيت معلق، وموضوع السفر معلق، وهناك موضوعات كثيرة جداً معقدة وتبدأ بالنظر!!! هذا لا يجوز، النظر ينبغي أن يكون آخر مرحلة في مرحلة الخطوبة.

3- ليس لأب الخاطب الحق في أن يرى المخطوبة أو تدخّل على الخاطب هي وأمّها:

قد يأتي ليخطب مع أبيه، فما علاقة الأب بها وهي أجنبية عنه ؟ فالخاطب وحده له أن ينظر إلى مخطوبته، وليس للأب الحق في أن يراها، أو تدخّل على الخاطب هي وأمّها، وأمّها أجنبية عنه.

4- يجوز تكرار النظر إذا دعت الحاجة حتى تنطبع الصورة الحسيّة في الذهن:

يجوز تكرار النظر إذا دعت الحاجة حتى تنطبع الصورة الحسيّة في الذهن، وفي الأعمّ الأغلب تجد أنّ الشاب المؤمن حيي يقول لك: والله لم أرها. فقد وضع نظره في الأرض واستحيا أن ينظر إليها، ويقول والله لست متأكّداً منها. فنقول له: انظر إليها مرّة ثانية، لك أن تنظر إليه مرّة ثانية وثالثة.

5- يجوز أن تحدّثه ويحدّثها وأن ينظر لوجهها وكفيها ولا يجوز أن يصفحها:

ويجوز أن تحدّثه وأن يُحدّثها، ولا يجوز أن يصفحها لأنّها أجنبية عنه، وأن ينظر إلى وجهها وكفيها، وفي بعض الآراء الضعيفة: يجوز أن ينظر إلى أكثر من وجهها وكفيها أي إلى شعرها.

6- لا يجوز أن يجتمعا إلا بوجود أحد محارم المخطوبة:

لا يجوز أن يجتمعا إلا بوجود أحد محارم المخطوبة لأنّ الإسلام يحرم الخلوة بالمرأة الأجنبية، وهذه المخطوبة إلى الآن امرأة أجنبية، فإذا جاء هو وأمّه فليست هناك مشكلة.

((لا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ وَلَا تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ))

[البخاري عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا]

أما خطوبة المتفلّتين من منهج الله يأتيهم الخاطب مرّاتٍ عديدة، ويخرج معها مرّاتٍ عديدة ليمتحن أخلاقها، ويمتحن طريقتها في الحياة، فتتصنّع له ويتصنّع لها ثم تقع الطامّة الكبرى، ويختفي الخطيب، ويندب الأب حظّه، ويلطم وجهه، ويصرخ بويله، وبعد حين يكبر بطنها، لأنهم قبل ذلك قالوا لك: هو خطيبها، الإسلام شديد الوضوح والحدود، وحدوده ليست قيوداً إنما هي حدود تضمن لك سلامتك.

صلاح البال يحتاج إلى إقامة أوامر الله عزّ وجلّ:

أيها الأخوة الكرام صلاح البال غطف على الهدى فقد قال تعالى:

{ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْهِمْ (5) }

(سورة محمد)

صلاح البال معطوف على الهدى، وكلّمك يعلم أنّ العطف يقتضي المشاركة، أي شيء عظيم جداً وثمرتين جداً أن يتمتّع الإنسان بصلاح باله وصلاح البال يحتاج إلى إقامة أوامر الله عزّ وجلّ. أنا لا أقول كلاماً أنطلق به من الخيال، والله هناك مأس اجتماعيّة جمّة، فأخواننا القضاة يعرفون من الملفّات التي في محاكمهم الشيء الكثير، وأقول لكم بشكلٍ دقيق وعلى الإطلاق ما من مأساة في المجتمع البشري إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل.

يقولون لك: فِتِّش عن المرأة، ضبَّاط الأمن الجنائي إذا رأوا جريمة من الجرائم عندهم القاعدة الذهبية وهي: فِتِّش عن المرأة، ولكنِّي قمت بتعديل هذه القاعدة: فِتِّش عن المعصية، إذا واجهت مشكلة، أو قضية، أو انهيار بيت الزوجية، أو فضيحة، أو انحراف فتاة ففتش عن المعصية، ترى أنّ كلّ المشكلات وراء معصية، والمعصية وراء الجهل، والجهل أهدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يفعله عدوّه به.

((النظرة سهمٌ من سهام إبليس، من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه))

[الطبرانيُّ والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

لعلكم تعجبون من كثرة إلحاح الدعاة إلى الله على قضية غضِّ البصر، الحقيقة غضُّ البصر مدرسة، لأنّ معظم الشرور مبدؤها من النظر، دائماً الإنسان عنده نقطتا ضعف ؛ فهو ضعيفٌ أمام المال، وضعيفٌ أمام النساء، العفة عن المال، والعفة عن النساء يجعلان المؤمن في حصنٍ حصين، والإنسان لا يسقط إلا من قبل امرأة، أو من قبل مبلغٍ من المال يسيل له الألعاب، يسقط من هذين الإغراءين، فلذلك ترى أنّ معظم الأحكام الشرعية تناولت موضوع النساء وموضوع كسب المال بالأحكام التفصيلية، لذلك حينما تأتي آية في كتاب الله تأمر المؤمنين بغضِّ البصر، فمعنى ذلك أن هذا الأمر متعلّق بسلامتك وبمصيرك.

حفاظاً على عفة الإنسان بدأ الله عزَّ وجلَّ بأسباب الانحراف:

كنت أضرب هذا المثل، لو دخلنا محطة للوقود وفيها مكان للوحة إعلانات فيمكننا أن نكتب في الإعلان ألف عبارة، وألف نموذج، ولكن ما العبارة التي تتعلّق بمصير هذه المحطة أو بسلامتها؟ عبارة: ممنوع التدخين، مثلاً قد تنطلق شرارة من إنسانٍ يدخن فتحترق هذه المحطة كلها، فحينما نستغل هذه اللوحة بكتابة هذا الإعلان فمعنى ذلك أنّ هذا الإعلان متعلّق بسلامة ومصير هذه المحطة.

حينما تجد في القرآن الكريم آية تأمر بك بغضِّ البصر معنى ذلك أنّ هذا الأمر متعلّق بسلامتك وبمصيرك لأن موضوع النظر هام جداً، فإذا شبّهنا الشهوة الجنسية بصخرة كبيرة عاتية مستقرّة في رأس جبل، فما علاقة النظرة بهذه الشهوة؟ النظرة هي التي تدفع هذه الصخرة من مكانها الذي تستقرُّ به، إذا دفعتها خرجت هذه الشهوة من سيطرتك، فهذه الصخرة لا تستقرُّ إلا في أعماق الوادي، وأنت مخيرٌ أن تُرحلها عن مكانها أو أن تبقّيها في مكانها، لكنك إذا زحزحتها انتهى اختيارك فلا تستقرُّ إلا في أعماق الوادي.

لذلك حفاظاً على عفة الإنسان بدأ الله عزَّ وجلَّ بأسباب الانحراف، لذلك أكثر الآيات - والشيء الذي يلفت النظر - أنه ليس هناك نهْي عن الزنى أبداً، لكنّ هناك نهْي عن الاقتراب من الزنى، أي أنّك إذا

دفعت الصخرة فقدت السيطرة على حركتها فلا تستقرّ إلا في أعماق الوادي، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((النظرة سهمٌ من سهام إبليس، من تركها من مخافتى أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه))

[الطبرانيُّ والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

((ما من مسلم ينظر إلى امرأة أول رمقة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه))

[الطبراني وابن مردويه والبيهقي عن أبي أمامة]

أنت في النهار الواحد تتصل بالله خمس مرّات، لكنك إذا سرت في طريقك كلما وقعت عينك على امرأة وغضضت البصر عنها ترقى إلى الله عزّ وجلّ، والدنيا مؤقتة والله هو المسعد، فعندما يغضّ الإنسان بصره عن محارم الله فالله على كلّ شيء قدير، فهو قدير على أن يجعل بيتك جنّة من جنان الأرض لا باتساع مساحته، ولا بفخامة فرشته، ولا بتحفه الثمينة، ولكن بهذا الوفاق الزوجي وهذا الحبّ بين الزوجين، هذا الوفاق الزوجي أساسه طاعة الله عزّ وجلّ.

من أقام بيته على قواعد الدين أورثه الله حلاوةً في بيته:

حينما يطلق الإنسان بصره في محارم الله يدفع الثمن باهظاً في حياته الزوجية، لذلك فالسعادة الزوجية بيد الله، والشقاء الزوجي بيد الله، فمن أقام بيته على قواعد الدين أورثه الله حلاوةً في بيته.

((اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا أوتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم))

[أحمد وابن حبان والطبراني والحاكم والبيهقي عن عبادة بن الصامت]

وفي حديثٍ آخر:

((كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك لا محالة فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه))

[مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

معنى نصيبه من الزنى أنّه إذا زنى كتبت عليه عقاب الزنى، أي نصيبه من هذا الذنب، مدرك ذلك لا محالة، فهناك زنى بالعين، وزنى باللسان، وزنى بالأذان، وزنى بالرجل، وكلّ أنواع الزنى لا محالة سيُعاقب الإنسان عليها في الدنيا وفي الآخرة.

لما سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن نظر الفجاءة قال عليه الصلاة والسلام:

((اصرف بصرك))

[مسلم عن جرير بن عبد الله]

أي الأولى لك والثانية عليك، الحقيقة أنّ غضّ البصر وحجاب المرأة يجعلان المجتمع نظيفاً والقلوب نقيّةً والحياة صافيةً، وكلّ إنسان ينصرف إلى بناء مستقبله، وفي الوقت المناسب يدخل عالم الزواج، وهذا العالم إذا دخلته في الوقت المناسب وكُنْتَ قبله عفيفاً فمن كرم الله على الإنسان أن يمّتعه بهذا الجانب من متع الحياة إلى أمدٍ طويل، إلى أن ينتهي به الأجل، أما إذا استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، ولعن الله الذّواقين والذّواقات، يقول عليه الصلاة والسلام:

((ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عينٌ حرسَتْ في سبيل الله، وعينٌ بكت من خشية الله، وعينٌ كَفَّتْ عن محارم الله))

[الطبراني عن معاوية بن حيدة]

لذلك الصفة التي تلفت النظر في الشاب المؤمن هي غضّ بصره وأجمل ما في الشاب عَفْتَه وأجمل ما في الفتاة حياؤها.

أدب نظر الرّجل إلى الرّجل:

أجمل ما في الشاب عَفْتَه:

((العدل حسن ولكن في الإمام أحسن، والسخاء حسن ولكن في الأغنياء أحسن، والورع حسن ولكن في العلماء أحسن، والصبر حسن ولكن في الفقراء أحسن، والتوبة حسن ولكن في الشباب أحسن، والحياء حسن ولكن في النساء أحسن))

[الدلمي عن علي رضي الله عنه]

كلُّ أحاديث غضّ البصر تعني غضّ البصر عن المرأة الأجنبية، لكنّ أدب نظر الرّجل إلى الرّجل فقد قال: لا يجوز أن ينظر الرّجل إلى الرّجل فيما بين سرّته إلى ركبته، سواءً أكان هذا الرّجل المنظور قريباً أم بعيداً، مسلماً أم كافراً، الرّجل للرّجل من سرّته إلى ركبته هذه المسافة وتلك المساحة من جسد الرّجل لا يجوز أن ينظرَ إليها رجلٌ آخر مسلم، كافر، قريب، أو بعيد، وفي حديثٍ آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا ينظرُ الرّجلُ إلى عورة الرّجل، ولا المرأةُ إلى عورة المرأة))

[مسلم عن أبي سعيد الخدري]

((وما بين السُرّة والركبة عورة))

[الطبراني والحاكم وتعقب عن عبد الله بن جعفر]

((وَعَطَّ فخذك فَإِنَّ الفخذ عورة))

[الترمذي وأبو داود وأحمد عن جرهد]

وفي الحديث:

((الفخذُ عورة))

[الترمذي عن جرهد]

لا في الرياضة، ولا في السباحة، ولا في التدريب، ولا في الحمام لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

هناك في مصر لاعبٌ للكرة وهو من أمهر لاعبي الكرة، اعتزل اللعب واتجه اتجاهًا دينيًا رائعًا، ويبدو أنّ هناك مباراةً دوليةً وتعلّق الدولة عليها أملاً كبيراً في النجاح وهذا اللاعب من عوامل نجاحها، ف جاء وزير الشباب إلى بيته راجياً منه أن يعود إلى الملعب وهو قد اتجه اتجاهًا دينياً، فقال للوزير: أنا ألعِب بشرط أن أرتدي السروال الطويل، فقال له: كما تُريد، ثم سار هذا التقليد بين معظم اللاعبين لأنّ الفخذ عورة، وكلّ شيء له حلّ.

جواز نظر الطبيب إلى موضع المرض من المرأة:

أما أدب نظر المرأة إلى المرأة لا يجوز أن تنظر المرأة إلى المرأة ما بين سُرَّتْها إلى ركبتهَا، سواءً أكانت المرأة المنظورة قريبةً أم بعيدةً، مسلمةً أو كافرة، أيضاً هذه عورة المرأة بالنسبة إلى المرأة. معلوم لديكم أننا لو تساهلنا في عورة الرجل إلى الرجل، والمرأة إلى المرأة ربما وصلنا إلى شذوذين في العلاقات، اكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وهذا مما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم وجعله من علامات قيام الساعة، ففضيئة الرجل للرجل من مضاعفات التساهل في هذا يصير هناك علاقة شاذة، والمرأة للمرأة من مضاعفات التفريط في الأدب النبوي علاقات شاذة، ومن علامات قيام الساعة كما صحَّ في الأحاديث: اكتفاء الرجال بالرجال، والنساء بالنساء.

أيها الأخوة الملاحظ أنّ الأب ولو كان مقصراً، ولو كان شاردًا عن الله عزَّ وجلَّ إذا شعر بأنّ ابنه بدأ ينحرف يغلي دمه، فالمشكلة أنّ الآباء يتساهلون في البدايات فإذا اكتشفوا الانحراف خرجوا عن طورهم، فهذا السلوك خاطئ، والأولى أن تبدأ برعاية الأولاد في سنٍ مبكرة، وأن تحفظ أخلاقهم حفظاً دقيقاً وأن تراقبهم وأن تحول بينهم وبين أسباب الانحراف.

لكن النظر للأجنبيّة - وهذا من أدب الإسلام - يجوز أن ينظر الطبيب، لكن أيُّ طبيبٍ؟ إذا كان هناك طبيبة فالأفضل أن تذهب إلى الطبيبة، ليس هناك طبيبة تذهب إلى طبيبٍ مسلم، أما أن نختار طبيباً غير مسلمٍ بادئ ذي بدء فهذا مخالفٌ للحكم الشرعي، فتبدأ بالطبيبة، ثم بالطبيب، وفي الحالات النادرة

والقصوى يمكن أن تلجأ إلى طبيب غير مسلم إذا لم تجد الطبيب المسلم، والطبيب المسلم إن لم تجد الطبيبة المسلمة.

على كلٍ أن ينظر الطبيب إلى موضع المرض من المرأة جائز، وهناك أزواج متعنتون جاهلون يرفضون أن يأخذوا زوجاتهم إلى الطبيب بدعوى الغيرة على عرضهم وهذا كلام مردود، فلست أشدّ غيرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللحياة قيمةً ثمينةً جداً ينبغي أن نحافظ عليها لأنها رأس مال الإنسان، لا أن نفرط بها من أجل دعوى الغيرة على العرض فهذا كلامٌ فيه جهلٌ كبير.

جواز النظر بقصد المحاكمة والشهادة:

الملاحظ أيّها الأخوة أنّ الطبيب المسلم - سبحانه الله - تشعر بعقته وبالاحتياطات التي يأخذها إلى درجة رائعة جداً، فتجد عنده الملاءات البيضاء فلا ينظر إلا لمكان المرض فقط وبالحدود الدنيا، ويؤثر السؤال والجواب على النظر، وإذا اضطرّ أن يجس العضو يضع الملاءات البيضاء ويبالغ في العفة هذا هو الطبيب المسلم، الذي يخشى الله عزّ وجلّ.

النظر بقصد المداواة يجوز، والنظر بقصد الخطبة يجوز فلك أن تنتظر إليها، والنظر بقصد المحاكمة والشهادة يجوز.

يروى أنّ موسى بن إسحاق قاضي الريّ والأهواز في القرن الثالث الهجري كان ينظر في قضايا الناس، وكان بين المتقاضيين امرأة ادّعت على زوجها أنّ عليه خمسمئة دينار مهراً لها، فأنكر الزوج أنّ لها في ذمته شيئاً، فقال له القاضي: هاتِ شهودك، فقال: قد أحضرتهم، فدعا القاضي أحد الشهود وقال: انظر إلى الزوجة لتشير إليها في شهادتك، فقام الشاهد وقال للزوجة: قومي، فقال الزوج: ماذا تريد منها؟! قال: أريد أن أنظر إلى امرأتك وهي مسفرةٌ لتصحّ عنده معرفته بها، فكره الرجل أن تضطرّ زوجته إلى الكشف عن وجهها أمام الناس فصاح: إني أشهد القاضي أنّ لزوجتي في ذمّتي هذا المهر الذي تدّعيه، ولن أسمح لها أن تسفر عن وجهها، كبر عليه أن ترفع الحجاب ويرى الشاهد وجهها ليقول هذه حقاً لها عنده خمسمئة دينار، فلما سمعت الزوجة ذلك أكبرت في زوجها أن يرضنّ بوجهها على رؤية الشهود، وأن يصونها عن أعين الناس، فصاحت للقاضي: إني أشهدك أنّي قد وهبت له هذا المهر وأبرأته منه في الدنيا والآخرة.

كان هناك الشرف، الآن تجد الرجل جالساً في الشرفة والزوجة بثياب متبدّلة وتقوم بنشر الثياب المغسولة والطريق مزدحم بالمارّة، والأنظار كلّها نحو الشرفة، والزوج يجلس مرتاحاً تماماً ولا شيء عليه.

من علامات قيام الساعة أن تنزع المروءة من رؤوس الرجال أي النخوة، وأن يذهب الحياء من وجوه

النساء، وأن تنزع الرحمة من قلوب الأمراء، لا رحمة في قلوب الأمراء، ولا حياء في وجوه النساء، ولا نخوة في رؤوس الرجال.

فقال القاضي لمن حوله: اكتبوا هذا في مكارم الأخلاق.

على الآباء أن يُجَنَّبُوا أولادهم الإثارات الجنسية:

بقي شيءٌ أخير في موضوع مسؤولية الآباء عن تربية أولادهم التربوية الجنسية أنّ على الآباء أن يُجَنَّبُوا أولادهم الإثارات الجنسية، أي أنّ كلّ شيء يثير هذه الغريزة يبعده عن ابنه، فالأب قد لا ينتبه إلى أنّ هذا الابن إذا أُثير ماذا يفعل؟ ليس أمامه إلا الانحراف، إما الانحراف مع ذاته أو الانحراف مع الآخرين، لأنّ هذا الضغط لا بدّ له من أن يُفَرِّغ، الإثارة تجعل هناك توتراً عصبياً، وهذا التوتر كيف يصرّف؟ إما بالانحراف مع ذاته أو بالانحراف مع الآخرين، والأب لا يدري ماذا يفعل. أقول لكم كلمة أتحرج أن أقولها دائماً لكن الآن أقولها لكم وهي: عندما تركب هذه الصحن، إذا فوجئ الأب أنّ ابنه على ابنته، ذكر لي أحد الأخوة أنّ هذا بدأ يحدث في هذه البلدة كثيراً، من جرّاء هذه البرامج التي تبثّ خصيصاً للعالم الإسلامي كي تمرّق الأسرة، وكي تفرّغ القيم، وكي تنحلّ الأخلاق، فالإنسان حينما يأتي بالمنكر باختياره ينبغي أن يتحمّل النتائج، والنتائج قد لا تحتملها أعصاب الإنسان، فقد استوقفتني مرّة أحدهم قد دلّوه على هذا المسجد فنكر لي مشكلة بين ابنه وابنته أسفرت عن حمل وكاد يبكي وهو يذكر لي ذلك.

الذي يفعله الناس بدافع التحضّر والاطلاع على ما في الحضارة هو عبارة عن انغماس في أحطّ أنواع الانحرافات، فالآباء المؤمنون عليهم أن يُجَنَّبُوا أولادهم الإثارات الجنسية، فكيف أنّ هناك في الدولة مقصداً للرقيب، فيجب كذلك أن يكون عند كلّ أب مقصداً للرقابة، فالمجلات والجرائد التي تخصّ الأم دائماً قد تحتوي على بعض الصور والأشياء التي تثير الشهوة وعلى الأب أن يراقب ما في بيته؟ ماذا يقرأ الأولاد؟ وإلى ماذا يستمعون؟ وماذا يشاهدون؟ لا بدّ من رقابة.

لا بدّ من رقابة داخلية وخارجية لأن كل راع مسؤول عن رعيته:

لا بدّ من رقابة داخلية، ولا بدّ من رقابة خارجية، لا بدّ من أن تراقب ماذا يجري في البيت لأنك مسؤول وكلّ راع مسؤول عن رعيته، ولا بدّ من أن تراقب ماذا يفعل أولادك خارج البيت، قال النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((لَتَنْبَعَنَّ سَنَنٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ سَلَكُوا جُرْحَ ضَبِّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا

رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ فَمَنْ؟!!!))

[متفق عليه عن أبي سعيد رضي الله عنه]

هل من الممكن أن يكون هناك في باريس إنسان يهودي، يقبع في دارٍ للأزياء ويرسم خطوط الألبسة الفاضحة، ونساء المسلمين ينصعن إلى هذا المصمم، ويطنّون خطوطه بحذافيرها بدعوى السير مع أحدث الأزياء، أحياناً يعتبون بقولهم: إنَّ الله لا يستجيب لدعائنا، أين السلوك الطيّب؟! فقد قال تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يُرْشَدُونَ (186) ﴾

(سورة البقرة)

أرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الدروس مترجمةً عند الأخوة الكرام إلى توجيهات لأولادهم، إلى حرص، وإلى اهتمام، وإلى مجالس تلقى عليهم الحقائق، فالأب حينما يرى أولاده في المستوى الذي يريد يسعد أيّما سعادة.

ليس أمامي في ختام هذا الدرس إلا أن أدعو الله سبحانه وتعالى أن يهبنا من أزواجنا وذريّتنا قرّة أعين، وأن يجعلنا للمتقين إماماً.